Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أزمة النزعة التصويرية

إن فن الشاعر ثمرة الميراث الثقافى وموقع الشعر فى البنية الاجتماعية ورغبة الذات فى تجاوز فرديتها بالاتصال بالآخرين فى جو من الإثارة . وليس باستطاعتنا أن نناقش أى جانب من جوانب الشعر العربى دون أن نضع فى اعتبارنا مبدأ العصبية للماضى باعتباره تراثا لا يصح التسامح مع مخالفه ، وغلبة النزعة العقلية الجدلية على الثقافة العربية فى الفترة التى نشطت فيها حركة النقد العربى وبدأ فيها تقسيم علوم البلاغة وتدوينها ، وأن الشاعر العربى كان يلقى شعره بين يدى جمهور حاضر ، وأن الشاعر العربى كان يبيع سلعته – عن اقتناع أو بإكراه الظروف – ومن ثم لم يكن بد من وضع المشترى فى الاعتبار . من هنا كان كلامهم عن أن الكلام إذا كان لفظه حلوا عذبا ، وسلسا سهلا ، ومعناه وسطا ، دخل فى جملة الجيد ، وجرى مع الرائع النادر[1] ، والشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة ، ولا يحلو فى الصدور بالجدال والمقايسة ، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقربه منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشىء متقنا محكما ، ولا يكون حلوا مقبولا ، ويكون جيدا وثيقا ، وإن لم يكن لطيفا رشيقا ، وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة ، وأخرى دونها مستحلاة موموقة ، ولكل صناعة أهل يرجع إليهم فى خصائصها ، ويستظهر بمعرفتهم عن اشتباه أحوالها[2] وأنه قد يستحسن البيت ويثنى عليه ، ثم يستهجن نظيره فى الشبه لفظا ومعنى حتى لا مخالفة ، فيعرض عنه إذ كان ذلك موقوفا على استحلاء المستحلى واجتواء المجتوى ، وأنه كما يرزق الواحد فى مجالس الكبراء من الإصغاء إليه والإقبال عليه ما يحرم صنوه وشبيهه مع أنه لا فضيلة لذلك ولا نقيص لهذا إلا ما فاز به من الجد عنه الإصغاء والقسم[3] . وهكذا يمكن أن تتوالى الاقتباسات بغير نهاية لتؤكد أصالة واستقرار إيثار البداهة والتلقائية ، والتعبير عن الذوق العام ، ووضع الجمهور فى الاعتبار كمتلق حاضر فى حشد ، مع مراعاة طبيعته الأمية ورغبته فى الاستشهاد بالشعر والاستعانة به فى ضرب الأمثال . وهذه أمور نص عليها

---

(١) العسكرى : كتاب الصناعتين ص ٦٥ .

(٢) القاضى الجرجانى : الوساطة ص ٢٠ .

(٣) المرزوقى : مقدمة شرح ديوان الحماسة ص ١٢ ، ١٣ .